سورة الضحى، دراسة وتحليل- لطلبة الدبلوم العادي والتكاملي

مقدمة : هذه السورة مكيّة ، نزلت بعد انقطاع الوحي فترة ظن فيها المشركون أنّ القطيعة وقعت بين محمد(ص) وخالقه ، فقالوا : لقد قلى محمدا ربه ، فنزل هذا النص ليدحض هذه الفرية .

أسباب النزول :

1- قيل : إن الوحي احتبس عن الرسول (عليه السلام) اثني عشر يوما ، وقيل : خمسة عشر يوما ،وقيل أربعين يوما ، فقال المشركون : إن محمدا ودعه ربه وقلاه ،ولو كان أمره من الله لتابع عليه كما كان يفعل بمن كان قبله من الأنبياء ، فأنزل الله " ما ودعك ربك وما قلى" .

2- قيل : إن النبي (ص) اشتكى ، إذ رميت إصبعه بحجر ، فدميت ، فقال :

" ما أنت إلا إصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت "

فلم يقم ليلتين أو ثلاثا ، فجاءت امرأة ،هي أم جميل ؛ (امرأة أبي لهب) فقالت ،: يا محمد إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك ، فأنزل الله " والضحى والليل إذا سجا" .

3- قيل : لما سألت اليهود الرسول **عن الروح وذي القرنين وأصحاب الكهف** ، قال : سأخبركم ، ولم يقل : إن شاء الله ، فاحتبس عنه الوحي ، إلى أن نزل قوله تعالى " ولا تقولنّ لشيء إني فاعل ذلك غدا إلّا أن يشاء الله " .

4- وقيل : إن المسلمين قالوا : يا رسول الله ، مالك لا ينزل عليك الوحي ؟ فقال : وكيف ينزل عليّ، وانتم لا تنقون رواجبكم – وفي رواية - براجمكم ، ولا تقصون أظفاركم ، ولا تأخذون من شواربكم ؟ فنزل جبريل بهذه السورة . (**والبرجمة** : مفصل الإصبع ، **والرواجب** جمع راجبة ، وهي المفاصل أيضا) .

فنزلت هذه الآيات ؛ لتدحض فرية الكافرين ، وليقف الله إلى جانب نبيه ، وليكون لمسة حنان للرسول الذي يظلّ بشرا يتأثر مثلهم .

شرح الآيات

1- **والضحى والليل إذا سجا** : المراد بالضحى ، النهار ؛ إذ قابله بالليل ، فقد قيل : إن الله أقسم بالضحى الذي كلم الله فيه موسى ، وبليلة المعراج التي خرّ فيها السحرة سجّدا . وفي الآية إضمار ؛ مجازه : ورب الضحى .

سجا : معناه 1- سكن ، ومنه البحر الساجي ، والليل الساجي ،2- وقيل : معناه ، غطى ، فسجو الليل تغطيته النهار 3- وقيل : سجا أظلم . ، والناقة السجواء التي إذا حلبت سكنت ، أو تسكن عند الحلب ، " وقال ابن جرير " أولى هذه الأقوال : **والليل إذا سكن بأهله وثبت بظلامه ، فلا يكون هناك ضوء او نور كوقت الضحى بعد شروق الشمس.**
. الواو (هنا) للقسم ، فقد اقسم الله بالضحى لغرض **نفسي معنوي** ؛ إذ لم يختر النص هنا القسم بالصبح أو (بالليل إذا يسر) ، وإنما اختار الضحى ؛ **ليتلاءم مع لمسة الحنان والإشفاق** ، فالضحى وديع لا وهج فيه ولا برودة ، بخلاف الصبح الذي قد تخالطه دجنة أو برد ، وكذلك الظهيرة القائظة ، و الليل المظلم .

2- **ما ودعك ربك وما قلى "** : ودعك ، أي تركك ، وقيل هو بالتخفيف. قلى :أبغض ، وسقطت الكاف في الفعل ، لـِ : **أ-** لأنه رأس آية . **ب-** حذفت الكاف اكتفاء بالكاف الاولى في (ودعك) . **ت-** لفائدة الإطلاق ؛ أي أنه ما قلاك وما قلى أحدا من أصحابك . **ث-** للتكريم في الذكر والحذف ؛ لأن **التوديع** عادة ما يكون بين المتحابين ، ويكون مع بقاء خلة ومودة، لذلك يحسن معه ذكر المفعول ...

أما القلى ، فلا يكون إلا بين المتخاصمين و الترك فيه يكون مع بغض وكراهة ، ، فلم يذكر معه المفعول ؛ إكراما لنبينا (ص) ، والعرب تقول : سمعت أنك شتمتني ، فتقول : لم أشتم ، ولا تقول : لم أشتمك ؛ لإكرام المخاطب . وهذا من المعاني الأسلوبية التي أشار إليها الجرجاني .

س: لم جاء القران الكريم بكلمة (ربك) ولم يأت بكلمة (الله) هنا ؟

ج – لأن لفظة (**الله**) عامة للناس جميعا ، أمّا (**ربك**) ففيها خصوصية ، وإشعار بالمحبة والحنان ، تماما كما جاء في سورة العلق (اقرأ) : " اقرأ باسم ربك الذي خلق " . **واختيار كلمة الرب بدل كلمة الله لأن لفظ الجلالة الله كلمة عامة للناس جميعا ولكن كلمة الرب لها خصوصية وهذا يحمل التطمين للرسول الكريم من ربه الذي يرعاه ولا يمكن ان يودعه أو يتركه ابداً.**

س: لم بدأ القرآن بالنفي في " ما ودعك ربك وما قلى" ؟

ج- قيل : لأن نفي الضد دليل على ثبوت الضد ، والنفي المحض لا يكون مدحا .

فلم قدّم التوديع على القلى ؟

ج- لأن الإشاعة التي كان يتناقلها الناس كانت قد بدأت بدعوى صغيرة ، ثم بدأت تتطور ، بدأت بالتوديع، وتنامت بتفاحش الخبر ،فاضحى التوديع قلى ؛ ومن ثَمّ جاء الترتيب بحسب زمن الإشاعة .و **مجمل الآيتين** : أقسم الله بالضحى والليل ؛ لأنهما طرفا الزمن ، وظرفا الحركة والسكون ، فقال مواسيا حبيبه المصطفى :" ما تركك ربك وما أبغضك ،لا في ليل ولا نهار ،ونفي الضد دليل على ثبوت الضد .

ولَلآخرة خير لك من الاولى "

اللام (هنا) ، للابتداء ، فالآخرة : مبتدأ مرفوع ، وخبرها (خير) . قيل : إن الآخرة هي في الأصل صفة لموصوف محذوف تقديره : (الدار، أو الحال) ؛ أي الدار الآخرة خير لك من الأولى ، أو الحالة الآخرة لك بعد نزول السورة خير من حالتك الأولى ، فحُذِف الموصوفان ؛ للاتساع الدلالي . **المعنى** : أي ما عندي في مرجعك إليّ خير مما عجلت لك من الكرامة

ولسوف يعطيك ربك فترضى " . اللام في (لسوف) للابتداء. **وما الفرق بين العطاء والإيتاء ؟**

قالوا : العطاء تمليك نهائي لا رجعة فيه ، أمّا الإيتاء فقد يعقبه استرجاع .
ماذا وعده ربه أن يعطيه؟ قيل : 1- الفُلج في الدنيا والثواب في الآخرة .والفُلج(الغلبة والسبق والعلو والفوز) 2- الحوض والشفاعة في جميع المؤمنين .(وصاحب الحوض يوم الرسل سائلة متى الورود وجبريل الأمين ظمي). 3- ألف قصر من لؤلؤ أبيض4- وقيل : ألا يدخل أحد من أهل بيته النار.

.

- قيل لما نزلت هذه الآية ، قال النبي: إذن، والله لا أرضى وواحد من أمتي في النار.

- وقال علي(رضي الله عنه) لأهل العراق :إنكم تقولون إنّ أرجى آية في كتاب الله ، هي " قل يا عباديَ الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله" ، ونحن نقول : إنّ أرجى أية هي "ولسوف يعطيك ربك فترضى".

الرضا ،هو أرجى ،و أعلى مرتبة الجزاء " جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه " .

--وفي الحديث " إنّ الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة : يا أهل الجنة ، فيقولون : لبيك وسعديك ، فيقول : هل رضيتم ؟ فيقولون : وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك ، فيقول : أنا أعطيكم أفضل من ذلك ، قالوا : يا رب ، وأي شيء أفضل من ذلك ؟ فيقول : أحلّ عليكم رضواني ، فلا أسخط عليكم بعده أبدا " .

ألم يجدك يتيما فآوى "

الفعل (وجد) أخذ مفعولين ؛ الكاف و (يتيما) . وقالوا : وجد (هنا) بمعنى : صادفك ، فلا تتعدى إلّا إلى مفعول واحد ، وعليه تكون (يتيما) حالا .**الاستفهام في الآية ، يفيد التقرير**

1- **تيما** : لا أب لك ، ويقال للذي فقد أمه : **العجيّ** ، وللذي فقد الاثنين ،**اللّطيم** .)

2- وقيل يتيما : **وحيدا في شرفك لا نظير لك** ، ومنه قالت العرب : يتيمة الدهر للقصيدة التي لا نظير لها ، وقالوا : درّة يتيمة "

-- وسئل جعفر الصادق: لمَ أوتم النّبيّ في والديه ؟ فقال : لئلا يكون لمخلوق عليه حق .

مات أبوه وهو لا يدبر نفسه ، فآواه الله ، وكفله جده ، ثم عمه ، حتى أيده الله بنصر المؤمنين .

ووجدك ضالا فهدى" ما المعاني التي تعنيها كلمة (ضالّا)

1-غافلا عما يراد بك من أمر النبوة ، فهداك . فالضلال هنا الغفلة . (لا يضّلّ ربي ولا ينسى) .

2- قيل (ضالا) : لم تكن تدري ما القرآن و الشرائع ، فهداك الله إلى القرآن(ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان)

3 -(ضالا) : أي في قوم ضلّال فهداهم الله بك . 4- ضالا : ناسيا شأن الاستثناء، حين سئلت عن أصحاب الكهف وذي القرنين والروح ، فأذكرك الله ،(أن تضل إحداهما) 5- قيل : وجدك طالبا للقبلة فهداك إليها (قد نرى تقلب وجهك في السماء) 6- قيل : ضائعا في شعاب مكة ، فهداك وردك إلى جدك عبد المطلب.

7- قيل : تعني محبا : فالضلال من معانيه المحبة ، (قالوا تالله إنك لفي ضلالك القديم) .

8- وقيل : لا أحد على دينك ، وأنت وحيد ليس معك أحد، فهديت بك الخلق إليّ ، فالعرب تسمي الشجرة التي لا شجر معها في الفلاة ضالة ، فيهتدي بها إلى الطريق .

ووجدك عائلا فاغنى " أي ، فقيرا لا مال لك ، والعائل الفقير ذو العيال .

فأما اليتيم فلا تقهر " لا تسلط عليه بالظلم وادفع إليه حقه ، واذكر يتمك ، وخص اليتيم ؛ لأنه لا ناصر له غير الله ؛ فغلظ في أمره . وقرئت (تكهر) ، بمعنى : الزجر ، وتقهر بمعنى الغلبة .

ما جاء في الحث على الرحمة باليتيم :

1- قال قتادة " كن لليتيم كالأب الرحيم .2 - جاء رجل الى رسول الله يشكو قسوة قلبه ، فقال له الرسول " إذا أردت أن يلين ، فامسح رأس اليتيم ,وأطعم المسكين " .

3- قال عليه السلام : انا وكافل اليتيم كهاتين ، وأشار بالسبابة والوسطى .
4- وعنه عليه السلام " من ضم يتيما فكان في نفقته وكفاه مؤنته ، كان له حجابا من النار يوم القيامة ، ومن مسح برأس يتيم كان له بكل شعرة حسنة " . 5- كان ابن عمر إذا رأى يتيما ،مسح على رأسه ، وأعطاه شيئا .
وأما السائل فلا تنهر " لا تزجره ، ولكن رده ببذل يسير، أو رد جميل ، واذكر فقرك . ففي الحديث " لا يمنعن أحدكم السائل ،وأن يعطيه إذا سال ولو رأى في يده قلبين من ذهب " .

قال عليه السلام " ردوا السائل ببذل يسير أو رد جميل " . وقال إبراهيم بن الادهم : نعم القوم السّؤّال ،يحملون زادنا إلى الآخرة .وقال إبراهيم النخعي : السائل بريد الآخرة ، يجيء على باب أحدكم فيقول " هل تبعثون الى أهليكم بشيء . " اليتيم والسائل " منصوبان بالفعل الذي بعده .

والسائل هنا يدخل فيه السائل للمال والسائل للعلم والهداية والمعرفة ،ولهذا كان المعلم مأمورا بحسن الخلق مع المتعلم ، ومباشرته بالإكرام والتحنّن.

وأما بنعمة ربك فحدث" أي انشر ما أنعم الله عليك بالشكر والثناء ، والتحدث بنعم الله والاعتراف بها شكر ،والتحدث يقتضي توسيع دائرة الإخبار والنشر ، ولا سيما أن الإسلام هو آخر الديانات. **والمقصود بالنعمة** هنا –

1- القرآن ،2- وقيل النبوة . قال النبي صلى الله عليه وسلم " من أعطي خيرا فلم ير عليه سمّي بغيض الله معاديا لنعم الله " ، وعن مالك بن نضلة الجشمي قال: كنت عند رسول الله جالسا ، فرآني رث الثياب ، فقال : ألك مال ؟ قلت : نعم ، يا رسول الله ، من كل المال ، قال : إذا آتاك الله فلير اثره عليك .